محاضرة:

الإبدال على مستوى الأصوات والحروف

أ/ سهام سراوي

مقدمة:

تُعَدّ ظاهرة الإبدال من أبرز الظواهر الصوتية التي وسمت اللهجات العربية القديمة وأسهمت في تشكيل ملامح النظام الصوتي قبل مرحلة التقعيد اللغوي. وقد حفظت لنا كتب التراث، مثل الكتاب سيبويه والخصائص لابن جني والمزهر للسيوطي إضافة إلى القراءات القرآنية والشعر الجاهلي، شواهدَ تكشف عن اختلاف الأبنية الصوتية في بيئات قبلية متعدّدة. ومن ثمّ فإن دراسة الإبدال تتيح مقاربةً تاريخية للهجات العرب وتُمكّن من فهم المسارات الصوتية التي أدّت إلى استقرار الفصحى. وإنّ البحث في اللهجات العربية القديمة وبيان خصائصها وسماتها، أمر مهم للوقوف على أصولها ومعرفة أسباب تطور اللغة العربية.

وعليه نطرح التساؤل الآتي: ما الإبدال الصوتي؟ وما أشهر ظواهره في اللهجات العربية القديمة؟

أولا: تعريف الإبدال

الإبدال لغة: "هو قيام شيء مقام الشيء الذاهب، والبدل خلق من الشيء والتبديل: التغير"[1].

---

[1]– لسان العرب، ابن منظور، ص231.

أمّا اصطلاحا فقد عجت كتب اللغة بتناوله بالدرس والتحليل واعتنوا به، فقد ورد مفهومه عند الجرجاني: "هو أن يجعل حرف موضع حرف آخر لدفع الثقل"[2]، كما يعرف أيضا "التغير الحاصل في لفظ من الألفاظ بتطور أحد الأصوات فيها إلى صوت آخر مع بقاء المعنى واحدا."[3]

أي نعني إبدال صوت بآخر ونطق صوت في كلمة بصوت آخر دون تغيير في معنى الكلمة، وهنا يمكن اعتبارها ظاهرة يؤخذ منها التطور الحادث في الأصوات اللغوية.

ثانيا: أشهر الظواهر في الإبدال الصوتي

أ- الإبدال الحرفي (الصوامت)

1) العجعجة:

وهي إبدال الياء جيما، وقد اشتهرت نسبة هذه الظاهرة إلى قبيلة قضاعة، ومن المعروف أنّ نسبتها إليهم مقيدة بأن تكون الياء تالية للعين في بنية الكلمة، وهذا دليل على تسميتها بالعجعجة، فالجيم التي تبدل من الياء تاليه للعين في الكلمة، وما ورد في **لسان العرب** "العجعجة في قضاعة كالعنعنة في تميم، إذ يحولون الياء جيما مع العين، فيقولون هذا راعج خرج معج، أي معناها هذا راعي خرج معي"[4].

أمّا **سيبويه** فقد نسبها إلى أناس من قبيلة بني سعد مقيدة بالوقف، فقال: " أما جماعة من قبيلة بني سعد فأنهم يبدلون الجيم بدل الياء في الوقف؛ لأنها خفية، حيث قاموا بإبدالها في موضعها حيث أنّها أبين الحروف، وذلك في حديثهم هذا تميمج،

---

[2]- التعريفات، الشريف الجرجاني، تح إبراهيم الأبياري، دار الريان للتراث، مصر، دط، دت، ص21.

[3]- دراسات في علم الصرف، عبد الله درويش، مكتبة الشباب المنيرة، ط2، دت، ص72.

[4] - لسان العرب، ابن منظور، مادة (ع ج ج).

ويريدون تميمي، وهذا علج يريدون به علي، وسمعت بعضهم يقولون عربانج، ويريد به عرباني."[5]

ونسبت كذلك هذه الظاهرة إلى قبيلة طيء وبعض من أسد، حيث أنشد الفراء:

بكيت والمحترز البكجً وإنما يأتي اليا الصبجً

إذ يريد بالبكج (البكي)، ويريد (بالصبح) الصبي.[6]

2) العنعنة: ومن ذلك فإن ظاهرة العنعنة وهي في كثير من لهجات العرب في

لغة قيس وتميم تجعل الهمزة المبدوء بها عينا فيقولون في **أنك عنك وفي أَسْلم عَسْلم وفي أذن عُذن.**[7] جاء في جمهرة اللغة أنّ العنعنة: حكاية كلام نحو قولهم: عنعنة تميم لأنهم يجعلون الهمزة عينا.[8]

فقد جاء أنّ السيوطي ذكر: أنّ لهجة من لهجات العرب يبدلون الهمزة التي يبدأون بها عينا ومنه قول الشاعر ذو الرمة:

أعِن ترسمت من خَرْقَاءَ مَنزِلة ماءُ الصبابة من عيْنَيْكَ مَسجومُ

والشاعر يريد بأعن **(أأن)**.

ومن ذلك في ظاهرة العنعنة، وهي لهجة تميم وبعض قيس وأسد، إذ يجعلون الهمزة عينا في بعض الكلمات، فيلفظون كلمة (استعدى) بدلا من استأدى، ويلفظون كلمة أعدى بدلا من أدى، ...وقالو بدلا من **(أن) فيقولون فيها (عن).**

---

[5] - أبحاث ونصوص في فقه اللغة، رشيد عبد الرحمان العبيدي، مطبعة العليم العالي، بغداد، 1988، ص278.

[6] -تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، مطبعة الخيرية، القاهرة، باب الجيم.

[7] – المزهر في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي، ص172.

[8] – جمهرة اللغة، بن دريد الأزدي، ص 216.

3) **الشنشنة:** هو أن تبدل حرف الكاف من حرف الشين مطلقا، مثل ما جاء في كلام العرب: لبيش اللهم لبيش، ويعنون بهذا لبيك اللهم لبيك، وهذه لهجة من لهجات العرب، وتنسب هذه اللهجة إلى أهل اليمن.[9]

4) **الطمطمانية:** في كلام العرب إبدال لام التعريف ميما، ويذكر بعض اللّغويين أنّ الطمطمانية معناها العجمة، وأن يكون الكلام مشابه لكلام العجم، إذ يقول الثعالبي:" وهذه الظاهرة تعرض في لغة حمير كما في قولهم: طاب امهواء، ويريدون بهذا كلامهم طاب الهواء."[10] هذه الظاهرة اشتهرت بها حمير، وتخيل رجلا آخر يطمطم لام التعريف، فيسأل الرسول –صلى الله عليه وسلم– هل من امبر امصيام في امسفر؟ وهو في كلامه يقصد: هل من البر الصيام في السفر؟ فيجيبه رسول الله وهو يستخدم نفس لهجته التي سأل بها ليفهم السائل الحكم الشرعي فيجيبه" ليس من امبر امصيام في امسفر.[11]

5) **الوتم:** والوتم في كلام العرب، ظاهرة لغوية حيث تقلب السين تاء وهي عند أهل اليمن، إذ يقولون في كلمة الناس (النات) كما في قول الشاعر:

يا قاتل الله بني السعلات عمرو بن يربوع شرار النات

6) **الكسكسة:** جاء في الخصائص لابن جني في هذه الظاهرة من لهجة القبائل العربية، وأما كسكسة قبيلة هوازن فقولهم أيضا في: أعطيتك ومنك وعنك، فيقولون فيها: أعطيتكس ومنكس وعنكس، وهذا في الوقف دون الوصل.[12]

---

[9] - الاقتراح في أصول النحو وجدله، السيوطي، دار القلم، دمشق، ط1، 1989، ج1، ص419.
[10] - مجالس ثعلب، ص21.
[11] - دراسات في فقه اللغة، صبحي إبراهيم صالح، ص 309.
[12] - الخصائص، ج2، ص14.

جاء في فقه اللغة وسر العربية، والكسكسة تعرض في لغة بَكر، وهي اتباعهم لكاف المؤنث سينا عند الوقوف كقولهم: أكرمتُكس، بِكس، إذ يريدون بها: أكرمتُكِ وبكِ. [13]

من ذلك ما جاء في المزهر للسيوطي: والكسكسة وهي في لهجة قبيلة ربيعة ومُضر، حيث يجعلون بعد الكاف أو مكانها في المذكر سينا.[14]

وجاء في لسان العرب، وكسكسة قبيلة هوازن هو أن يلحقوا بعد كاف المؤنث سينا فيقول: أعطيتكِسُ ومنكسُ، وهذا في الوقف دون الوصل، ومنه جاء أيضا الكسكسةُ لهجة من لهجات العرب تقارب الكشكشة، وفي حديثهم تياسروا عن كسكسة بكر يعني ابدالهم السين من كاف الخطاب تقول: أبوس، أُمُّس ويريد به: أبوك أُمك. وقيل هو خاص بمخاطبة المؤنث ومنهم من يبقي الكاف لحالها ويزيد بعدها سينا في الوقف، فيقول: مررت بكِس أي بكِ والله أعلم.[15]

7) **الكشكشة:** وهو أن يجعل بعض العرب أو القبائل العربية في كلامهم، بعد كاف الخطاب شينا إذا كان مؤنثا فيقولون: في عليك عليكش، وفي بك بكش أو في رأيتك رأيتكش، وهذه القبائل العربية التي ينطقون بهذه الظاهرة، فبعض منهم من يثبت الشين في حالة الوقف فقط حرصا على الإيضاح.[16]

أمّا ما جاء في الخصائص أنّ كشكشة **قبيلة ربيعة**، هي في قولهم مع كاف ضمير المؤنث: إنكش، ورأيتكش وأعطيتكش، ينطقون هذا في حالة الوقف، فإذا وصلت أسقطت الشين.[17]

8) **الاستنطاء:** إبدال العين الساكنة نونا إذا جاورت الطاء، ومن أمثلة هذه الظاهرة في كلام العرب كأنطى في أعطى، وتنسب هذه الظاهرة في لهجات العرب إلى

---

[13] - فقه اللغة وسر العربية، الثعالبي، ص90.
[14] - المزهر في علوم اللغة، السيوطي، ص176.
[15] - لسان العرب، ابن منظور، ص3875.
[16] - جمهرة أنساب العرب، ابن حزم الأندلسي، ص 103.
[17] - الخصائص، ابن جني، ص13.

لهجة **سعد بن بكر**، وتنسب أيضا إلى قبيلة **هذيل والأزد وقيس والأنصار وأهل اليمن**.[18]

9) **الفحفحة:** الفحفحة في اللهجات العربية إبدال حرف الحاء عينا، وجاء في لسان العرب أنّ الفحفحة: تردد الصوت في الحلق وهو شبيه بالبحة في الصو والبحة وهي غلظٌ في الصوت وخشونة.[19]

جاء في المزهر للسيوطي، والفحفحة في لهجات العرب، هي جعل حرف الحاء عينا وهي في لهجة **قبيلة هذيل**، وما يفهم من كلام المزهر أنهم يجعلون كل حرف حاء عينا في نطقهم، فقد رويأن عمر رضي الله عنه قال لعبد الله بن مسعود حين بلغ أنّه يقرأ الناس **(عتى حين)**، ويريد بهذا في قوله تعالى:" **ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُهُ الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ**" **يوسف 35**. فإنّ ابن مسعود رضي الله عنه حين قلب حاء حتى عينا في قراءته المذكورة، فقد قرأها بلهجة هذيل، وقد شارك قبيلة ثقيف قبيلة هذيل في هذه الظاهرة قلب الحاء عينا، وقال الفراء: حتى لهجة قريش وجميع العرب إلاّ قبيلة هذيل وثقيف فإنهم يقولون فيها عتى.[20]

ب- الابدال في الحركات (الصوائت)

1. الوكم:

الوكم في لهجات العرب هي كسر حرف الكاف إذا جاء قبله حرف الياء أو كسره، وما جاء في كتاب المزهر للسيوطي الوكم في لهجة ربيعة ...يقولون: عَليكِم وبكِم، فهذا إذ كان قبل الكاف ياء أو كسرة.[21]

---

[18] - الاقتراح في أصول النحو وجدله، السيوطي، ص419.
[19] - لسان العرب، ابن منظور، ص335.
[20] - المقتضب في لهجات العرب، محمد رياض كريم، ص 137.
[21] - المزهر في علوم اللغة، السيوطي، 176.

إذ جاء في الكتاب لسبويه وهذه اللغة من لهجات العرب قد نسبت إلى ناس من قبيلة بكر بن وائل فيقولون: من أحلامكِم وبكِم بكسر الكاف.[22]

2. الوهم:

الوهم في لهجات العرب، إذ يقوم بعض قبائل العرب بكسر الهاء في (هم)، هذا وأنّ جمهور العرب تنطق الهاء مضمومة، إذ لم يسبقها كسرة أو ياء، ومنه قولك: منهُم وعنهُم أذ أن بعض قبائل العرب تنطق هاء هم مكسورة إذ سبقها ياء أو كسر فيقولون: بيهِم وعليهِم.[23]

3. تلتلة بهراء:

جاء في كتاب المزهر أنّ تلتلة بهراء وهي كسر بعض قبائل العرب أوائل الحروف أفعال المضارعة.[24] وأيضا ما جاء في الخصائص أن تلتلة بهراء أنهم يقولون: تِعلمون وتِفعلون وتِصنعون بكسر أوائل الحروف.[25]

خاتمة:

الإبدال من أهم الظواهر الصوتية في اللّهجات العربية، الذي جاء على اختلاف القبائل العربية، فأبدلت العرب في الحروف (الصوامت) وفي الحركات(الصوائت).

---

[22] - الكتاب، سيويه، 197.
[23] - المقتضب في لهجات العرب، 146.
[24] - المزهر في علوم اللغة، السيوطي، ص167.
[25] - الخصائص، ابن جني، 13.